قراءة التّراث النثريّ العربيّ في ضوء بلاغة الحِجَاج

د. كريم الطيبي
الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين– تطوان (المملكة المغربية)
Karimtaibi1988@gmail.com

مقدّمة

شكّل التراث النثريّ العربيّ منجما ثرّا ومنبعا زاخرا فتح آفاق القراءة والتأويل قديما وحديثا، وما يزال مفتوحا لا ينضب معينه مهما علت أصوات القائلين بأنّ "القديم قُتل بحثا"؛ إذ تتجدّد القراءة بتجدّد المقاربات وتحديث الأدوات وتحيين الأسئلة ومراجعة الأحكام. وقد أوقدت مناهج النّقد ومدارس تحليل الخطاب والمقاربات الحديثة كالسيميائيات والتّداوليّات والحجاج والنّقد الثقافي وغيرها من الرؤى والنّظريات، أوقدت جذوة الرّغبة لدى الباحثين والدّارسين في العودة إلى التّنقيب في التّراث النّثريّ بحثا ودراسة وقراءة وتحليلا وتأويلا منتفعين بهذه المقاربات النّظريّة التي وجدوها ناجعة في سبر أغوار النصّ التراثيّ وكشف أسراره ورصد معالم نبوغه وتوصيف خصوصيته، وتتبّع أبعاده ووظائفه. وتُعدّ بلاغة الحجاج من أبرز المقاربات النظريّة التي اتّخذت أداة في قراءة التراث النثري ودراسته، وذلك بعد أن عملت جهود غربية عديدة على بعث البلاغة القديمة وإحيائها وأهمها ما قدّمه شاييم بيرلمان. لقد وجد الدارسون المعاصرون في العالمين العربي والمغاربي المناسبة لإحياء حقل خصب في تراثنا هو حقل البلاغة، وانبروا لتأسيس بنية معرفية جديدة لمفهوم البلاغة تنأى عن بلاغة العبارة وبلاغة المحسنات التي استقر عليها البحث البلاغيّ العربيّ بعد سنين من الانحسار. وتسعى هذه الدّراسة إلى تتبّع بعض المشاريع العربيّة المهمّة التي استلهمت مبادئ البلاغة الجديدة أو بلاغة الحجاج وعملت على تطبيق أدواتها ومقولاتها في دراسة التراث النّثري العربي القديم، انخراطا في تأسيس أفق بلاغيّ رحب يقوم على ربط النص التّراثي بسياقه التّداوليّ ومقامه الحجاجيّ، وباستحضار المتكلم والمخاطب باعتبارهما مكوّنين أساسين في الدراسة، إلى جانب رصد وظائف الخطاب النثري وأبعاده. ومن ثمّ فإن الدراسة تحاول تقديم رؤية حول المشاريع البحثية التي تناولت النّص النثري العربي من منظور

بلاغيّ حجاجي يتجاوز الأبعاد الجمالية والمقومات الفنّية إلى استنطاق البعد الحجاجيّ وتحليل المنظومة الإقناعية التي تتأسس عليها. ولتحقيق هذا الطموح ارتأينا تقسيم الدراسة إلى المباحث التالية، وهو تقسيم ينسجم مع المشاريع المقروءة التي اختارت مدارسة الأنواع النثرية العربية من منظور بلاغيّ موسّع يبعث الشّق الحجاجيّ الذي غُيِّب في الدّرس البلاغيّ.

أولا- محمد العمري وبلاغة الخطبة:

يمكن عدّ محمد العمري رائد بلاغة الحجاج في العالم العربي بامتياز؛ ذلك أنه من أوائل من اشتغل في البلاغة واعتكف سنين عددا على إعادة قراءة تاريخها، وتنبّه إلى ضرورة تصحيح مفهومها، وهو ما عبّر عنه نفسه في قوله:" ما البلاغة؟ هذا هو السؤال المحوري الذي يسعى الكتاب إلى الإجابة عنه بعد أربعين سنة من البحث في جوانب وقضايا مختلفة منه. قضايا كان بعضها معروفا على الإجمال (الصور البلاغية الشعرية) وبعضها لفَّه النسيان (الأبعاد التداولية والحجاجيّة)" [1]. لقد عمل العمري على صياغة تصوّر متين ومؤسّس لبلاغة عامّة تستوعب البعد الفنّي/ التّخييل والبعد التّداولي/ الحجاج، وتكون وسيلة فعّالة في وصف الخطابات وتحليلها وقراءتها، بعيدا عن النّظرة الجامدة التي أرهقت إمكانات البلاغة وأخمدت بريقها ووهجها وكبّلت امتداداتها وقيّدتها في مكوّن الأسلوب وجمالية العبارة. هذا التّصور الموسّع والذي يقوم على استعادة المكون الحجاجيّ لمفهوم البلاغة هو الّذي عمل العمري على تأصيله وتطبيقه في كتبه عامّة وكتابه " في بلاغة الخطاب الإقناعي: مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية الخطابة في القرن الأول نموذجا" [2] على وجه الخصوص، ومدار هذا الكتاب على قراءة نوع نثري عربيّ قديم (الخطبة) من منظور حديث يستمدّ أسسه من أصول البلاغة العربية وينبني على استلهام النّظريات الحجاجيّة الغربية وخصوصا نظريّة أرسطو، يقول العمري:" ونحن إذ نسترشد بالهيكل العام لبلاغة الخطاب عند أرسطو لشموليتها نحتفظ لأنفسنا بحق التعامل مع النصوص العربية بما فيها من خصوصيات، كما نحاول أن نوظف المصطلحات البلاغية العربية بإدخالها فيما يناسبها ويستوعبها من نظرية أرسطو" [3]. وبما أنّ البلاغة التي يصدر عنها العمري هي"علم

الخطاب المؤثر القائم على الاحتمال" [4] أو "علم الخطاب الاحتمالي الهادف إلى التأثير أو الإقناع أو هما معا، إيهاما وتصديقا"[5]، فقد نحى في كتابه هذا المنحى تطبيقا وأجرأة، وحاول أن يفتحص الجهاز الحجاجي والنّظام الإقناعي في نصوص من الخطابة العربية، استنادا إلى النظريات الحجاجيّة الغربية قديمها (أرسطو) وحديثها (بيرلمان)، واستنادا أيضا على مقولات من التراث البلاغي (الجاحظ). ومن ثمّ يمكن القول إنّ كتاب العمري شكّل محاولة مبكّرة في قراءة التراث النثريّ العربي من منظور حجاجيّ يستقري التّقنيات الحجاجية والآليات التأثيرية الثاوية في الخُطبة العربية القديمة. وثمة باحث آخر أسهم، بطموح إيجابي، في قراءة التراث النثري العربي من منظور بلاغي حجاجيّ هو محمد مشبال.

ثانيا- محمد مشبال وبلاغة الرسالة:

ينطلق مشبال من تصوّر أساس يقوم على اعتبار البلاغة مكوّنا مركزيا في تراثنا وثقافتنا، يقول:" البلاغة هي العلم الذي اهتدت إليه الثقافة العربية القديمة في سعيها لاكتشاف صناعة الأدب، فهي علامة متأصلة في هويتنا الثقافية" [6]؛ فالبلاغة، من هذا المنظور، ليست علما مستوردًا أو منقولا، بل إنّه علمٌ نبت في تربة الفكر العربي، وترعرع في أحضان هذه الثقافة التي تشكّلت في حوار مع الجدال الدّيني وعلم الكلام والبحث في أسرار القرآن الكريم وإعجازه، والسّجال العقدي الذي بلغ أوجه في فترات ازدهار الفكر العربي التّراثي، ومن ثمّ، فهي علمٌ له أسسه ومقولاته وأدواته ومبادئه، وليست مجرّد قواعد جافّة تقتفي آثار الصّور الأسلوبية، وتتتبّع مواطن الجمال في النّصوص، بل إنّ "لها القدرة على التفاعل مع مختلف النّصوص والنّظريات، الأمر الذي يجعلها تتّسم بالرّحابة في الموضوع والمنهج"[7]. وانطلاقا من هذا التّصور الرّحب والشّمولي الموسوم بالعمق والأصالة، حاول الباحث في مشروعه تكريس هذه الرّؤية المجدّدة، وتأصيل هذا المفهوم المنفتح للبلاغة، واضعًا قطيعة مع التصوّر المدرسي الجافّ أو البلاغة بوصفها "علما نظريا ينزع إلى التقنين والتقعيد"[8]، فهذا التصوّر جمّد الدّرس البلاغي وقولبه في أبنية جاهزة، وتقسيمات ضيّقة، وقد أكّد محمد مشبال، في أكثر من مناسبة، أنّ "المقصود بمفهوم "بلاغة" النّص ليس مظهره الأسلوبي أو صياغته الأسلوبية بناء على تصور سائد يطابق بين البلاغة والأسلوبية" [9]. كما أنّ البلاغة إمبراطورية واسعة تنفتح على مختلف الحقول المعرفية، والرؤى العلمية المجاورة

لها، وليست مقاربة منغلقة وجامدة، ذلك أنّ "ربط البلاغة بتحليل الخطابات في سياقاتها النوعية المختلفة، إجراء يقود بالضرورة إلى الاستفادة من نظريات أخرى في تحليل النّص"[10]، ولا يعني بحال، انفتاح البلاغة على حقول معرفية وعلمية أخرى غياب الفعالية الإجرائية في أدواتها، بقدر ما هو معطى أساس فرضته التحولات المعرفية في عصرنا الحالي الّذي قوّض الحواجز بين العلوم، وصار التّكامل المعرفي شعارا تتبنّاه كثير من التّصورات المعاصرة، وعليه فإنّ في "ربط البلاغة بأنواع الخطاب وبحقول نظرية مختلفة (الشعرية، والتداوليات، ومناهج تحليل الخطاب وعلوم الاتصال) ثراءً نظريًا وإجرائيًّا، فلم تعد البلاغة – في تفاعلها مع الخطابات الملموسة– جهازًا مقفلا وحقلا ضيّقًا"[11].

من خلال ما سبق، يمكن القول إنَّ تجديد الدّرس البلاغي شكّل هاجسا مؤرّقا لدى الباحث، ويبدو هذا الهاجس واضحا في مُنجزه المعرفي الذي راكمه منذ كتاباته الأولى، فعلى الرغم من اختلاف مؤلّفاته في إشكالاتها، إلا أنَّ هناك خيطا ناظما يجمعها وهو محاولة انتشال البلاغة من عزلتها ومآزقها التي سقطت فيها بعد أن استقر مفهومُها في اعتبارها فنّا للعبارة وأداة لتجميل الخطاب و"حصر موضوعها في تقنين وجوه التعبير"[12].

يحملنا ما سبق ذكره على القول إنّ باحثنا أعلن عن منظور رحب وممتدّ يؤطّر رؤيت ه للبلاغة؛ فهي رؤية تفسح المجال للوصل بين المكونين الجمالي والتداولي، وتهمل الفهم الضّيق الذي سيّج أفقها. وسنسعى إلى تلمّس آفاق هذا المنظور الموسّع في دراسة أحد الأنماط النثرية القديمة وهو فن الرّسالة.

يقدّم مشبال تصوّرا موسّعا لقراءة النّصوص النّثرية القديمة فتح آفاقا لتحليل الرّسالة على نحو ما يقدّم مقاربة فعّالة لقراءة مختلف الخطابات، فإذا كان ال عمري قد صدر عن رؤية موسّعة تتواءم مع طبيعة موضوع البحث هو ال خطبة، فإنّ محمد مشبال سعى إلى بلورة مقاربة قائمة على مبادئ وأسس تسمح باختراق أنظمة الخطابات، وتتيح إمكانية فهم النّصوص وتحليلها، وهي مقاربة بلاغية حجاجية قامت على تفعيل مقولات البلاغة الأرسطية، وتجديد مفاهيم البلاغة العربية، واستثمار النظريات الحجاجية المعاصرة فضلا عن الانفتاح على الحقول المعرفية المجاورة.

تنسجم المقاربة المقترحة في مشروع محمد مشبال بنسقها الفكري وزادها المعرفي وذخيرتها الإجرائية مع طبيعة الرّسالة خاصّة وطبيعة النصوص التّراثية عامّة، هذه النصوص التي تكشف عن "انشغال قوي بالمتلقي، سواء بالحرص على الاستحواذ عليه لتلقي النص، أو بالتواصل معه والتأثير فيه"[13]، كما أنّها تلتبس "بمواقف تواصلية محددة؛ إذ تخضع لمقصدية عملية تتحكم في إنتاجها؛ فهي إما تتوخى المدح، أو الهجاء، أو السّخرية، أو الاتهام، أو الحضّ، أو النّهي، أو التفضيل، وغيرها من الوظائف الحجاجية والتداولية التي تضطلع بها"[14]. وهذا الفضاء النّصي الموسوم بالتّفاعل والتّحاور والتحاجج [15] هو الذي يستدعي مثل هذه المقاربة؛ فبلاغة الحجاج تُعنى برصد المظاهر التي يصنع بها الخطاب فعاليّته التّأثيرية ويبني أسسه الإقناعية.

وتقوم هذه المقاربة على مبدإ مركزيّ يرفض اضطهاد الأشكال التعبيرية ويحتفي بالمقابل بهُويّتها وبلاغتها الخاصّة، ويخضعها في صميم تشكّلاتها النّوعية وفي علاقتها بمقامها التّواصلي؛ إذ لا يمكن رسم خريطة لتحليل النّصوص والتّعرف على مقوّماتها البنائية إلا باستحضار هذا المبدإ. يقول محمد مشبال:"إن البلاغة العامّة في هذه الحال ينبغي أن تفسح المجال لبلاغات خاصة تستحضر المقام التواصلي للخطاب ومكوناته النوعية الثابتة والمتغيرة، هذه البلاغة النوعية يُفترض أن تنظر إلى النصوص في علاقتها بسياقها التلفظي، أي المقام الذي أنتجت فيه: من هو المتكلم؟ وما موضوع الخطاب؟ ومن هو المخاطب؟ وما غاية الخطاب؟ وما هو نوع الخطاب؟" [16]. ومن ثمّ، لا يمكن الحديث عن تحليل بلاغيّ حجاجيّ لا ينطلق من هذه الأسس المحوريّة التي تهدي سبيل المحلّل نحو التّفاعل مع الخطاب، لتجلية بنيته ومكوّناته، ورصد المقوّمات التي تُشكّل بلاغته، والإمساك بأبعاده التّواصلية.

وبالنّظر إلى المنجز التطبيقيّ الذي عمل محمد مشبال فيه على تفعيل مبادئ بلاغة الحجاج، نلمس بوضوح أهميّة استحضار المقام التّواصلي ومقتضيات النّوع الأدبي؛ ففي قراءته لرسائل

الجاحظ، تعمّق الباحث في الخصوصية الأجناسية لهذه الرسائل، ووصل إلى أنّ بلاغتها تقوم على سمة "تداخل الأنواع"؛ إذ سمح مقام الترسّل بوصفه فضاء أوسع، أن يتضمّن أنواعا خطابية عديدة كالمناظرات والمفاخرات والوصايا، وبناء عليه، تمثّل الرسالة "إطارا شكليا خارجيا تنتظمه أنواع خطابية معينة تفرض بلاغتها وقواعدها على قارئ النص" [17]. ونستنتج من هذا أن مقاربة الباحث تُراعي البنية التكوينية للنّصوص، وتَعُدّ فن الترسّل عند الجاحظ "ذخيرة واسعة وغنية من النصوص أو الأنواع الجاهزة في الذّاكرة الثقافية"، ورصد نوعًا مخصوصًا من الرسائل هو "الرسالة–المناظرة"، ويمتاز هذا الشكّل "بتبادل السؤال والجواب، أو البناء الحواري القائم على تبادل الحجج". ومن الرّسائل التي تمثل هذا المنحى: "الردّ على النصارى"، "وخلق القرآن"، و"الرد على المشبّهة"، و"المسائل والجوابات". وبالنّظر إلى أنّ هذا الخطابات ذات طابع حجاجيّ؛ إذ يسعى المتكلّم إلى أن يدحض دعوى الخصم ويبني على أنقاضها دعواه، فإنّ التحليل البلاغي توجّه نحو رصد البناء الاستدلاليّ والحجاجيّ. ويجرد الباحث نوعًا ثانيًا هو "الرسالة–المفاخرة"، وحاول أن يضبط خصائصه وأبنيته ويفصله عن المناظرة على الرغم من تقاربهما، لينتهي إلى أنهما يختلفان في طبيعة الموضوع، كما أن المفاخرة تتميّز بهيمنة صيغة المدح والذّم وهو ما يؤطّرها ضمن الخطاب الاحتفالي [18]؛ إذ ينبري الجاحظ إلى عرضِ مواقفه وآرائه مدحًا أو ذمًّا دافعًا المتلقّين إلى تبنّي وجهات نظره نحو موضوع ما أو صرفِ اهتمامهم عنه، وذلك عبر استراتيجيات قولية وأساليب خطابية تقوم على إبراز المحاسن في سياق المدح، أو توصيف المساوئ في سياق الذّمّ؛ فما يميّز " الخطاب الاحتفالي سعيه إلى بناء صورة نموذجية عليا لموضوع مدحه في مقابل بنائه لصورة دنيا للموضوع الذي يذمّه" [19]. ومن النصوص التي تنضوي في هذا الإطار مفاخرة "الجواري والغلمان" وهي تقوم على تبادل حواري بين صوتين اثنين يدافع كل منها على دعواه، فيما يرى الباحث أن ثمّة مفاخرات أخرى يهيمن فيها صوت واحد ينتصر لدعواه، وهي مفاخرة "فخر السودان على البيضان"، ومفاخرة " تفضيل النطق على الصمت"، ومفاخرة " ذم أخلاق الكتّاب"، ومفاخرة "تفضيل البطن على الظهر"، ومفاخرة "رسالة الأوطان

والبلدان"[20]. وإضافة إلى الرسالة المناظرة والرسالة المفاخرة يصنّف الباحث نمطًا ثالثا تشكّل نوعيّا وبلاغيًّا في رسائل الجاحظ وهو "الرسالة–الوصية"، وتكتسي بنية تكوينيّة مخصوصة، غير أنّها تتقاطع مع النمطين السابقين في حضور المكوّن الحجاجي، على أنّ هذا لا يعني بحال إغفال المكوّن التخييلي؛ فهذه النّصوص "لا تعرى عن الطابع الأدبي الذي يخرجها من دائرة الخطابة الشفاهية إلى فضاء الكتابة الأدبية"[21].

اِنطلاقا من هذه الخصائص والمميّزات سعى محمد مشبال إلى رصد بلاغة النّص النثري عند الجاحظ من منظور بلاغيّ حجاجيّ يؤمن بأنّ هذه البلاغة تتجلّى في "كلّ ما يسهم في خلق تأثيره سواء أكان مصدر هذا التأثير صورة أسلوبية مقنّنة أم تقنية حجاجية محدّدة" [22].

وتتأسّس هذه المقاربة التحليلية، إضافة إلى ما سبق ذكره، على الاعتبارات التّالية:

– ترتكن مقاربة الباحث إلى كشف المنظومة الحجاجية التي يؤسس عليها الجاحظ دعاويه ويدحض دعاوى خصومه، وذلك بالوقوف عند عمليات الإقناع وأشكال الحجاج التي تعود إلى صفات المتكلم الأخلاقية (الإيتوس)، وأهواء المخاطَب (الباتوس)، والحجج العقلية والمنطقية (اللوغوس). إنّ تحليل هذه الاستراتيجيات الخطابية يُسهم في تلمّس بلاغة الخطاب ونظامه الحجاجي الذي يقوم عليه؛ فاستراتيجية الإيتوس تبرز أثر الذّات في الاضطلاع بعامل التّأثير، يقول الباحث:" فلما كان كل خطاب حجاجي يروم التأثير، وكان كل خطاب يقدم صورة عن الذات فإن صورة الذات تصبح شكلا من أشكال الإقناع والتأثير"[23]. أما استراتيجية الباتوس فتتيح تتبّع نمط حجاجيّ يقوم على استنفار أهواء المخاطب وتأجيجها بهدف استمالته نحو قبول الدّعوى. وعليه، ينحو التحليل البلاغي الحجاجي إلى كشف طرائق بناء الأهواء في الخطاب. بينما تقوم استراتيجية اللوغوس على استثمار جماع من الحجج المنطقية والآليات العقلية؛ إذ يُنظر إلى النّص من هذه الزاوية على أنّه "مجموعة من التقنيات الحجاجية والوجوه البلاغية والعلاقات الحجاجية اللغوية" [24].

ولا تأتي هذا الاستراتيجيات منفصلة أو معزولة، بل إنّها مندمجة تتداخل وتتفاعل وتنصهر فيما بينها.

– النّظر في المكوّنات البنائية والخطابية كالسرد والوصف والحوارية والسخرية وغيرها في سياقها الحجاجي، ويقوم هذا المبدأ على تجاوز التصوّر الذي يقرن السّمات التعبيرية بالبعد الجمالي التخييلي؛ لأنّ تأطيرها في السياق الحجاجيّ من شأنه أن يكشف ما تضطلع به من أبعاد تداوليّة، ويرصد تعالقها بالاستراتيجيات الحجاجية الأخرى، ففي دراسته لسمة "الحوارية" في نصوص الجاحظ خلص الباحث إلى أنّها تشكّلت تشكّلا حجاجية مبنيا على الحجج وبناء صورة للذّات وللآخر [25]. أما السرد فلم يخرج عن هذه الوظيفة؛ إذ شكّل إحدى التقنيات الحجاجية التي توسّل بها الجاحظ ليدافع عن وجهات نظره [26]. وكذلك انشغل الوصف بتفعيل الوظيفة الحجاجية في رسائل الجاحظ واتّخذ صيغا تداولية عديدة تهدف دعم دعوى المتكلّم. وبالجملة لا تنفصل المكوّنات التعبيرية البنيوية التي تزخر بها رسائل الجاحظ عن سياق النّص العامّ، فهي تخدم البناء الحجاجي وتعضّد الاستراتيجيات الأخرى في خلق التأثير وتفعيل الإقناع.

– تحليل الوجوه الأسلوبية بوصفها آليات تختزن طاقة حجاجية تسهم في صناعة التأثير، وليست فنا لتجميل الخطاب. وهذه الرؤية لا تتحقّق إلا بربط الوجوه الأسلوبية بإطارها النّوعي الذي تشكّلت فيه، وبربطها بمختلف المكوّنات التّعبيرية والاستراتيجيات الحجاجية؛ وقد أقرّ مشبال بهذا في قوله: "لا يمكن أن نتناول التشبيه والاستعارة وأسلوب الاستفهام والنفي وغيرها من الوجوه الأسلوبية في رسالة التربيع والتدوير مثلا بمعزل عن الإطار النوعي لهذا النص بوصفه مفاخرة ساخرة"[27].

كانت هذه العناصر أهمّ المقتضيات التي يقوم عليها تصوّر التّحليل البلاغيّ الحجاجيّ عند محمّد مشبال، وهذه المبادئ –كما يؤكّد الباحث–ليست قوالب ثابتة ومطلقة، بقدر ما هي أدوات ومداخل لا غنى للمحلل عن التوسّل بها، ويظل الانفتاح على الحقول المعرفية

ضرورة منهجية؛ لأنّ المقاربة المنفتحة والمتجدّدة "مطلب تقتضيه تطورات الحقل النظري نفسه، فلا يمكن أن نتحدث عن بلاغة واحدة ثابتة منغلقة على نفسها"[28].

ثالثا- عبد الله البهلول وبلاغة الوصيّة:

قدّم الباحث عبد الله البهلول إسهامات جليلة ومهمّة في مضمار النقد والبلاغة وتحليل الخطاب، ويشكّل البحث في التراث النّثريّ العربي القديم أحد الإشكالات البارزة في انشغالاته؛ حيث نلفي كتبا ودراسات عديدة انبرى فيها لقراءة التّراث النّثريّ من منظور بلاغي حجاجيّ، صادرا عن وعي معرفيّ يقوم على مبدإ أن الأنواع الأدبية العربية القديمة " هي نماذج تقدّم صورا عن طرائق اشتغال الحجاج في مجال الأدب، وتشهد بعمق توغّل الحجاج الجدليّ في طرائق التّفكير والتّعبير عند العرب" [29]. وهذا الاقتناع أوحى إليه إعادة قراءة هذا التّراث الزاخر من منظورات حديثة تنتفع من التّصورات المستجدّة، وتستثمر أدواتها وآلياتها. ويقف الاستناد على البلاغة الجديدة بما هي مقاربة في التحليل تقوم على استشفاف الوظائف والأغراض التأثيرية الثاوية في الخطابات في مقدّمة الأجهزة النّظرية التي استوعبها الباحث وتشرّب مباحثها وتنبّه إلى ضرورة تجاوز الأفهام الضّيقة التي حصرت هذه الإمبراطورية الواسعة في جمالية الأسلوب، وعمل على تجاوز الرؤية الفنّية والجمالية التي تقتنص الوجوه الأسلوبية إلى البحث عن بلاغة الخطاب وكشف استراتيجياته ووسائله، ورصد مقاصده ووظائفه. يقول البهلول موضّحا غايته في إحدى مقدّمات كتبه:"وقد أردنا البحث ارتحالاً في نصوص وآثار من الأدب العربي القديم زاد المرتحل فيها مساءلة المفاهيم والعدول عن جاهز الأحكام، ووجهته استكشاف ما في نصوص الأدب من سياسة القول واستراتيجيّات الخطاب يتوسّلها الأديب لبلوغ مقاصده وبها يحقّق القولُ وظائف انتُدب لتأديتها، ومن أجلها رتّب الأديب القول ونضّده، وساسه وراضه" [30]. ولم يكن هذا الاختيار النّظري قائما على ذاتية تطبعها ذائقة الباحث، أو ميلا عاطفيا نحو مسايرة موجة المقاربات الحديثة وإسقاطها على التراث العربي كما يحلو للكثيرين، بقدر ما نبع هذا الاختيار من

صميم التّراث الأدبي العربي نفسه، فخصوصيته التكوينية ومقوّماته الخطابية هي التي وجّهت البهلول إلى تبنّي أدوات البلاغة الحجاجيّة بوصفها مقاربة تنسجم مع خصوصيّة التّراث الأدبي موضوع التّحليل، يقول:" والذي زيّن لنا البحث في بلاغة الخطاب الأدبي في نصوص وآثار من الأدب العربي القديم أمران، أولهما ما لاحظناه في تلك النصوص والآثار من طرائق الاستدراج وسائر أفانين سياسة القول ممّا لم تتّجه إليه همم الدّارسين إلا في مناسبات قليلة..." [31]. إنّ ربط الأدب بسياقه، وتحليله انطلاقا من أدوات تنسجم مع خصوصيّته، وتجاوز البعد الفنّي والوقوف على المقاصد والوظائف، كل هذه المبادئ من صميم المقاربة البلاغية، ولم يفت الباحث أن يسارع إلى تقديم تصوّره للبلاغة؛ حيث ذكر أنّها:" سياسة في القول تُعنى بالكلام باعتباره فعلا وممارسة عمليّة لا باعتباره شكلا معزولا عن المقاصد التأثيرية، مدارها على وظائف الكلام لا على الأشكال في ذاتها، فيها توظف وسائل التعبير لتحقيق المقصد الإقناعي التأثيري لأنه قطب الرحى فيها"[32].

يتّضح، من خلال ما سبق، أنّ الباحث عبد الله البهلول استند على خلفية نظريّة بلاغيّة حجاجيّة، تؤمن بضرورة تجاوز النّسق الفني الجمالي الذي كرّسته بلاغة الأسلوب، واستحضار الجانب الحجاجي التّداولي، وهذا التّصور احتكم في صياغته عاملان، أما الأول فهو المفهوم البلاغي الأصيل الذي يعاين الحجج وقوانين تنظيمها في الخطاب، في حين يتمثّل الثاني في خصوصية الأدب العربيّ القديم بوصفه خطابا حجاجيّا يتأسس على المحاججة وفن الإقناع والتّأثير.

وبالوقوف عند إسهامات البهلول ومنجزه النقدي والأكاديمي نلحظ اهتماما كبيرًا بقراءة التّراث النثري من هذا المنظور البلاغي الحجاجي المنفتح والموسّع، ونلمس هذا بجلاء في كتابه المهمّ "الوصايا الأدبية إلى القرن الرابع هجريا: مقاربة أسلوبية حجاجية" [33]؛ إذ انبرى فيه لدراسة الوصيّة بوصفها جنسا أدبيا له سمات مخصوصة وعناصر بنائية تجعله يقترب من الأدب، واختيار المقاربة الأسلوبية الحجاجية أداة لتحليل الوصايا ودراستها هو مبدأ ينسجم مع قواعد هذا النوع وهُويته، فالوصيّة خطاب فيه من الخصائص ما يجعله لصيقا من الأدب مندرجا فيها، كما أنه خطاب حجاجيّ يروم تحقيق وظائف وغايات، يقول الباحث:" نوجّه البحث في الوصايا وجهة رصد أدبيّتها موصولة بأساليب التّعبير وطرائق الإقناع والتّأثير.

ولاختيارنا زاوية النّظر هذه مبرّرات مستمدّة من طبيعة الجنس القوليّ موضوع البحث، ومن تصوّر للأدب مفهوما وتكوينا ووظيفة. ذلك أن الوصيّة تبدو في الغالب، جنسًا من الكلام قائما على مجموعة من الظواهر اللغويّة والأسلوبيّة، تتفاعل فيها أساليب التّعبير المتنوّعة من حكم وأمثال وأقوال مأثورة سارية مسرى الأمثال والحكم. وهي أساليب موظّفة لتحقيق جملة من الأعمال المقصودة بالقول كالأمر والنّهي والفرض والإلزام والتّوسّل والاستعطاف والعهد والتّفويض والاسترعاء وغيرها. ثم إن تحقيق التّأثيرات المقصودة في ذات الموصى له يتمّ في أحايين كثيرة بطرائق استدراجيّة كفيلة بتنزيل الوصيّة في صميم الخطاب الحجاجيّ مبنى ومقصدا"[34]. تكشف هذه الفقرة تصوّر عبد الله البهلول ونظرته للنّثر العربي ممثّلا في جنس الوصّية، إذ تنزّل البحث في هُويّة الوصيّة ومكوّناتها من منظور مزدوج يصرّح بالمنزع البديعي الجمالي الذي تزخر به وتحتضنه، دون إقصاء البعد الحجاجيّ التأثيريّ؛ فالمكوّن الأسلوبي الفنّي يشتغل ضمن غاية تداوليّة هدفها التأثير وإخضاع الموصى له حتى يذعن لدعاوى الموصي تصديقا وتطبيقا وعملا. وهكذا يضع الباحث هذا النّوع الأدبي في إطاره الموسّع الذي يرصد المكوّنات الجمالية ويقرنها بوظيفتها الحجاجيّة التي تتفاعل في تشكيل بلاغة الوصيّة.

ومن خلال هذه الرّؤية عمل الباحث على النبش في التّراث النثري كاشفا أجناسه الأدبيّة المغمورة والتي تعدّ الوصّية أحدها، ساعيا إلى استخلاص مقوّماتها الفنّية والأسلوبية، ورصد استراتيجيّات التأثير والإقناع المتضمّنة فيها، فانطلق بالبحث عن الهُويّة اللّغوية للوصّية في اللغة والاصطلاح والنقد، وانتقل لاستكشاف المنظومة الأسلوبية التي تتشكّل منها جنس الوصيّة، ثم انبرى يستخلص الاستراتيجيات الحجاجيّة التي تنصهر في ثنايا هذا الجنس.

وانطلاقا ممّا سبق، يمكن القول إنّ جهود الباحث التونسيّ عبد الله البهلول اتّجهت إلى قراءة التّراث النثري العربي من منظور حداثيّ قائم على فهم موسّع للبلاغة، فهم يستوعب شساعة هذا الحقل ورحابته، وقد تلمّسنا هذا في جماع من منجزاته ولعلّ أبرزها دراسة الوصية من منظور بلاغيّ حجاجيّ.

رابعا– الهاشا العيادي وبلاغة المناظرة:

لم يغبْ التصوّر الموسّع للبلاغة عن قراءة الهاشا العيّادي لخطاب المناظرة في التراث العربي؛ إذ يفصحُ الباحث عن وعيه بامتزاج الجمالي والحجاجي داخل منظومة البلاغة، معتبرًا أنّ فنّ المناظرة "يجمع بين البيان والبرهان جمعًا تأسيسا وليس تركيبيا، بمعنى لا تتحقق وظيفة أحدهما دون الآخر"[35]، إضافة إلى أنّه دقّق في مفهوم البلاغة قائلا: " البلاغة بما هي لفظ فصيح ومعنى شريف من جهة، وبما هي سياسة في القول تراعي أحوال المتكلمين وأقدار المخاطبين وطبيعة العلاقة بينهما من جهة أخرى، وبما هي أيضًا بصر بالحجة ومعرفة بمواضع الفرصة من جهة ثالثة"[36]. كما أشار، في سياقات عديدة، إلى ديدنه في تجاوز الفصل بين بلاغة الأسلوب وبلاغة الحجاج، باعتبارهما مقوّمين ثابتين ومتطابقين لا يحسن الفصل بينهما، وعدّ هذا الفصل "صراعًا وهميّا" [37]، بناء على أنّ البحث البلاغي العربيّ لم يتأسس على الفصل بين الأجناس، ولم يعزل الجمالية عن الحجاجية؛ فالبلاغة العربية –في رأيه–"حافظت على وحدتها ولم تؤمن بأجناس مستقلة بل اعتبرت ذلك مستويات خطابية تحضر بتفاوت في النص الواحد. فكانت أظهر تماسكا وأكثر انسجاما في التعامل مع النصوص"[38].

والملاحظ أنّ هذا التصوّر المنهجي الذي آمن به العيادي، ينبع بالأساس من طبيعة المناظرة من جهة، وطبيعة الغايات البحثيّة التي راهن على تحقيقها من جهة ثانية، ويهمّنا في هذا التّصريح صدور الباحث عن نظرة موسّعة في بحثه، نظرة قائمة على الوصل بين بلاغة الحجاج وبلاغة الأسلوب.

وفي ضوء ما ذكرناه، يتبدّى لنا الإطار الموسّع الذي انطوى عليه نظر الباحث العيادي وهو يقارب النثر العربي القديم ممثلا في نوع المناظرة؛ فقد اتّجه إلى دراسة مناظرات أبي عثمان الجاحظ وأبي حيّان التّوحيدي انطلاقا من خلفية نظرية غنيّة تضمر وعيا برحابة البلاغة القائمة على بعدين لا ينفصلان هما البعدان التخييلي والحجاجي.

يعدّ باشا العيادي كتب الجاحظ والتوحيدي "مناظرات طويلة"، وهذه رؤية شمولية لا تقصر المناظرة في نوع واضح القسمات ومحدّد العلامات، بل يراها كيانًا أدبيّا واسعا لا تحدّه حدود، يخترق الأجناس الأدبية الأخرى. وانطلاقا من هذا المبدإ حاول الباحث تأكيد رؤيته الموسّعة لأدب الجاحظ بوصفه خطابا تناظريا؛ فكتاب البيان والتبيين "لا يعدو أن يكون مناظرة واحدة جامعة دارت بين الشّعوبي مطاعنه واعتراضاته وأنموذجه بشار بن برد وأنصاره من الشعوبيين، وبين العربيّ بلاغته وخطابته وأنموذجه واصل بن عطاء وصفوان الأنصاري والجاحظ"[39]. وكذلك شأن كتاب الحيوان، فهو يمثّل "مناظرة طويلة بين العربي المسلم وغيره من أصحاب المذاهب والديانات الأخرى" [40]، وينخرط كتاب البخلاء، كذلك، في خطاب السّجال ما يجعله نموذجًا للمناظرة؛ لأنّه "انطلق من حوار ترسلي بين سهل بن هارون يدافع عن البخل ويردّ على أبناء عمّه الذين عابوا عليه ذلك، ثم جاءت النوادر في الكتاب كلّها احتجاجا للبخل أو عليه" [41]. ولا تخرج رسائل الجاحظ كذلك عن الحكم نفسه؛ حيث إنّها "انعقدت على التناظر، فانبنت على حوار بين طرفين أو أكثر"[42].

إنّ حضور الطابع السجالي في نصوص الجاحظ، والتباس السياق الحجاجي بداوفع تأليفها، جعلا العيادي يقرّ بأنّ أدب الجاحظ " لا يعدو أن يكون مناظرة واحدة جامعة دارت بين العربي والشّعوبي" [43]. وتحضر هذه الرؤية نفسها في تلقّي الإنتاج الأدبي لدى أبي حيان التوحيدي؛ فما كتبه يمثّل امتدادًا لأستاذه الجاحظ، وهما يشتركان في "تأسيس فن المناظرة في آثارهما بالنقل تارة والمشاركة تارة أخرى وبالتصريح حينا والضمني حينا آخر"[44].

والملاحظ أن الباحث لم يذعن لمعايير تمثيلية جاهزة كالمضمون [45] وبعض السّمات الأسلوبية كالحوار [46] في استنباط المقوّمات البنيوية والخصائص الفنية التي تتشكّل منها مناظرات الجاحظ والتوحيدي، وتجاوز هذا العائق الذي يحول دون تلمّس خصوصيّة خطاب المناظرة عند الأديبين من خلال التوسّل بمقاربة استقصائية تنطلق من الداخل، وتفتحص نصوصهما في كليتها، كما لجأ إلى أسلوب تكاملي يجمع بين أكثر من معيار، يقول

العيادي:" إنّ المعيار الواحد يقصر في رأينا عن تحديد خصوصية المناظرات وما يجمع بين نصوصها الشديدة التنوّع. لكنّ الجمع بين هذه المعايير أو بعضها قد يمكّننا من تصنيف مقنع لنصوص المناظرات في الأدب العربي عامة وأدب الجاحظ والتوحيدي خاصة. وهي معايير تشمل المقال والمقام في آن واحد. وتساعد على الجمع بينها وتأكيد خاصية الالتئام فيها"[47]. وقد أفضى به هذا الأسلوب إلى استشفاف نوعين بارزين في المدونة المدروسة وهما: المناظرة الكلامية، والمناظرة الامتحانية.

يؤكّد الباحث أن المناظرة الكلامية ليست صيغة تحيل إلى مضمونها، بل إنّها نمط في التناظر و"طريقة مخصوصة في القياس والموازنة والمشابهة" [48]، وقد تتوافق هذه الطريقة مع المضمون الكلامي الذي يعالج فيه المناظر قضايا من صميم علم الكلام كصفات الله وخلق القرآن ودخول أطفال المشركين النار وغيرها. بيد أنّ هذا المضمون الكلامي الصّريح قد يغيب في بعض المناظرات الكلامية. ومن ثمّ، عمد الباحث إلى ضبط معالم هذا النّوع من المناظرات انطلاقا من "المؤشرات الفنّية"، وانتهى إلى أنّها تقوم على "بلاغة المفاضلة"، حيث استخلص أهمّ سمة فنّية تُميّز هذه المناظرات وهي "أفعل التّفضيل"؛ التي "هيمنت عليها وغلبت. فتحوّلت الظاهرة الأسلوبية ميزة أجناسية، وأضحى أسلوب الأداء جنس بناء"[49]. واستقصى بنية التّفضيل فيها وتتبّع مواطنها وكشف عن تشكّلاتها وصيغها، ورصد دلالاتها ووظائفها.

أما النّوع الثاني الذي اهتدى الباحث إلى كشف معالمه، فهو المناظرة الامتحانية، وهذه التّسمية كذلك لا تحيل إلى المضمون، بل إنّها تؤشّر على "صناعة لها أسلوب وطريقة، تخالف بهما الأنموذج الأوّل القائم على المفاضلة" [50]. والملاحظ أنّ هذه المناظرات تتقاطع مع المناظرات الكلامية في المضمون؛ فهي أيضًا تتصدّى لمسائل عقدية وسياسيّة، والضابط الذي يميّزها هو مؤشّر فنّي يتجلّى في المساءلة؛ فـ"السؤال والجواب أهمّ أداة فنّية ميّزت المناظرات الامتحانية" [51]. وعليه، نستخلص أن المناظرات الكلامية تؤسّس كينونتها على

بلاغة المفاضلة، أما المناظرات الامتحانية فتقوم هُويتها على بلاغة المساءلة. وهو ما حذا بالباحث أن يتفرّغ للبحث عن طبيعة السؤال في المناظرة وأشكاله وصوره وأبعاده ووظائفه.

وممّا سبق يتّضح أنّ باشا العيادي انبرى في مشروعه إلى رسم معالم خطاب التّناظر في أدب الجاحظ والتّوحيدي، واستنباط مقوّماته الأجناسية ومكوّناته البنيوية، كما سعى إلى وضع اليد على مواطن الأدبية فيه، ورصد أبعاده الحجاجية. وقد كشف الباحث عن جهد رصين وتمكّن واضح أهّله أن يكتشف مناطق بحث مهجورة في التراث الأدبي النّثري العربي. وهو ما يفسح المجال للدّارسين في إعادة قراءة الموروث الأدبي قراءة تبتعد عن المعتاد والإسقاط وتقترب من عمقه وخصوصيته وأصالته.

لقد آمن الباحث بجدوى دراسة التّراث الأدبي العربي انطلاقا من خلفية اعتبار هذا التراث مشبع بالتناظر والتحاجج، هذا المبدأ أوحى له بعدّ التراث الأدبي عند أبي عثمان وأبي حيّان صورة بارزة للمناظرة . ويشكّل هذا المشروع لبنة مهمّة ؛ فكتاب الهاشا العيادي يمثل امتدادا للمدرسة التونسية وبحوثها الأكاديمية المهمّة التي دأبت على قراءة النثر العربي القديم قراءة متجدّدة، تقف عند خصائص الأنواع النثرية عبر افتحاص مكوناتها وتأطير قوانينها وكشف مبادئها، وكذا رصد أبعادها ووظائفها. إن بحثه هو حلقة مترابطة في سلسلة حلقات البحوث العلمية التي عملت على إرساء مشروع قراءة للتراث النثري ومن أبرز المشتغلين في هذا المشروع نذكر تمثيلا: حمادي صمود، وصالح بن رمضان، ومحمد القاضي، ومحمد الخبو، وحاتم عبيد، وعبد الله البهلول وغيرهم...[52]

خاتمة

حاولت الدّراسة أن تكتشف جهود بعض الباحثين المغاربيين الذي انبروا لقراءة التّراث الأدبي النّثري من منظورات حديثة، وتحتفظ بخصوصيّة هذا التّراث وتضعه في صلب هُويّته وأصالته، وقد وقفنا عند أربعة باحثين مرموقين نرى أنهم أسهموا، بنصيب مهمّ، في إعادة قراءة التراث النّثري. وقد شكّلت بلاغة الحجاج بوصفها مقاربة تقوم على تجاوز مفهوم البلاغة التقليديّ المدرسيّ وربط بلاغة الخطاب بوظيفته التداولية وأغراضه الحجاجيّة وأبعاده التّأثيرية، شكّلت إطارا نظريّا لهؤلاء الباحثين في تأمّلاتهم وتحليلاتهم وقراءاتهم للنّثر العربي القديم. وبالنّظر إلى نتائج أبحاثهم المهمّة، ودورها في ترقية البحوث الأكاديمية وإثارة إشكالات جديدة وتجديد البلاغة، يمكن القول إنّ المقاربة البلاغية الحجاجية قد تمكّنت من ملامسة خصوصيّة التّراث النثريّ العربيّ، وكشف ملامحه وهُويّته، كما أفصحت عن وظائفه وأبعاده. وبهذا نجحت هذه المقاربة في استيعاب ما لم تفلح فيه المناهج النقدية السياقيّة والنّسقية التي اتّجهت إلى الاهتمام بالعوامل الخارجية المحتكمة في إنتاج الأدب، من خلال النّبش في حياة المؤلّف وتتبّع المؤثّرات التاريخية والاجتماعية والسياسية والنّفسية الحافّة بإبداعه، والانكباب على المكوّن اللّغوي بوصفه نسقا مغلقا.

الإحالات:

[1] أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة،: دراسات وحوارات، أفريقيا الشرق، ط1، 2013م، ص:5.

[2] أفريقيا الشرق، ط2، 2002م. وجدير بالذّكر أن طبعته الأولى صدرت سنة 1986م، وبهذا يكون أول كتاب صدر في العالم العربي والمغاربي ويتناول موضوع بلاغة الحجاج.

[3] في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص: 21.

[4] أسئلة البلاغة، ص: 18.

[5] البلاغة بين التخييل والتداول، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 2005م، ص: 6.

[6] راجع نصّ الحوار الذي أجرته مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، العدد 5، خريف 2014م، ص: 121.

[7] نصّ الحوار الذي أجرته مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، العدد 5، خريف 2014م، ص: 121.

[8] محمد مشبال، بلاغة النص القرآني، مجلة الهدى، مجلة المجلس العلمي المحلي لعمالة طنجة–أصيلة، العدد 2، دجنبر 2010م، ص:275.

[9] خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ، ص: 13.

[10] مقدمة كتاب: محمد مشبال (إشراف)، بلاغة النص التراثي: مقاربات بلاغية حجاجية، دار العين للنشر، مصر، ط1، 2013م، ص: 8.

[11] نفســه، ص: 8.

[12] محمد مشبال، عن بدايات الخطاب البلاغي العربي الحديث: نحو بلاغة موسَّعة، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2020م، ص: 36.

[13] محمد مشبال، بلاغة النص النثري العربي القديم: المبادئ والمكونات، مجلة أنساق، كلية الآداب والعلوم بجامعة قطر، المجلد 1، سنة 2017م، ص: 21.

[14] نفسه، ص: 22.

[15] أشار طه عبد الرحمان إلى أن التراث العربي الإسلامي لا يمكن استيعابه وفهمه إلا بتأطيره في مجاله التّداولي المشبع بالاستدلال والحجاج والتناظر، يقول وهو بصدد انتقاد القراءات الإسقاطية التي تعاملت مع التّراث دون استحضار خصوصية هذا المجال:" ... فقد غفلت عن تشبّع الفكر الإسلامي في كل ميادينه بأدوات الاستدلال المنطقي وأساليب المناظرة، وعن ممارسته لهما بدقّة فائقة ومهارة نادرة، بحيث لا نظن إمكان فهم هذا الفكر حق الفهم وتفهيمه حق التفهيم من غير استخراج آليات البناء الاستدلالي لهذا الفكر". أُنظر: تكامل المعارف: اللسانيات والمنطق والفلسفة، حوار نشر بمجلة قضايا إسلامية معاصرة، بيروت، العدد 19، 2002م، ص: 66. ونُشر سابقا في مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية، المغرب، العدد 2 شتاء 1987م–ربيع 1988م.

[16] خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ، ص: 17.

[17] خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ، ص: 19.

[18] خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ، ص: 25. ويقوم التّحليل البلاغي الحجاجي على تأطير الخطابات حسب مقتضيات البلاغة الأرسطية التي يُقسّم فيها أرسطو الخطابات إلى ثلاثة أنواع: الخطاب القضائي والخطاب الاستشاري والخطاب الاحتفالي. ويُبنى التّحليل وفق أنظمة تلك الأنواع وقواعدها؛ لأنّ هذا الإجراء المنهجي يعِينُ على ضبط مختلف العمليات العاطفية والعقلية التي تقترن بكل نوع خطابي، على اعتبار أنّ كلّ نوع يستثمر نمطا حجاجيّا محدّدا، كما أنّ بعض الاستراتيجيات تنشدّ بأنواع خطابية مخصوصة، فالإيتوس أو صورة المتكلم ليست منفصلة عن إطارها النوعي الذي يحتضنها؛ لأنّ المتكلم ينصهر في السِّمات التي يفرضها النّوع، ويرسم هُويَّتَهُ وَفق ما يقتضيه من شروط وأخلاق وقيم، ويذكر محمد مشبال أنّ: "المعرفة الضمنية بقواعد النوع ترسم التوقعات وتقترح تشكيلا مسبقا لصورة المتكلم". نفسه، ص:183.

وفي مشروع الباشا العيادي استحضار لأنواع الخطاب السّابقة ووعي بها، إذ أومأ إلى هذا في إحدى فقرات بحثه قال فيها:" وتلتقي بلاغة المفاضلة وما تعتمده من ترجيح بين المحاسن والمساوئ، بنوع من أنواع الخطب في التصنيف الأرسطي القديم. فمن المعروف أن أرسطو قسّم الخطابة ثلاثة أنواع شرحها وعلّق عليها عدد كبير من الدارسين في الغرب وعند العرب وهي: الجنس المشاجري والجنس المشاوري والجنس المشاوري" فن المناظرة في الأدب العربي، 259. غير أن الوعي المعرفي لم يتبلور في المنظومة الإجرائية التي صدر عنها الباحث، فعدم استلهام هذا التّحديد الأجناسي أغفل التشكّلات النوعية لصورة الذات (الإيتوس)، واعتمد معيارا مضمونيا لتصنيفها حتى تنسجم مع تصوّره العامّ للمناظرة، وقد رصد ثلاث صور هي: صورة النظّار المتكلّم، وصورة النظّار الأديب المتفلسف، وصورة المناظر الممتحن. راجع الفصل الثاني من الباب الثالث، ص: 389 فما بعدها.

[19] محمد مشبال، خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ: مقاربة بلاغية حجاجية، ص: 25.

[20] نفسه، ص: 24.

[21] نفسه، ص: 23.

[22] نفسه، ص: 13.

[23] محمد مشبال، في بلاغة الحجاج: نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، ص: 176. وأُنظر أيضًا: نحو تحليل بلاغي حجاجي للخطاب: مقاربة لصورة الخطيب في المراسلات السياسية بين معاوية والحسن بن علي نموذجا، مجلة البلاغة والنقد الأدبي، العدد 11، ربيع–صيف 2018م، ص:141.

[24] محمد مشبال، خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ، ص: 14.

[25] نفسه، ص: 64. وأُنظر: بلاغة النص النثري العربي القديم: المبادئ والمكونات، دراسة مذكورة، ص:23.

[26] محمد مشبال، السرد الحجاجي في رسائل الجاحظ، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، المغرب، العدد 2، ربيع 2013م، ص:86.

[27] خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ، ص: 17.

[28] مقدمة كتاب: هشام مشبال، البلاغة والسرد والسلطة في الإمتاع والمؤانسة، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2015م، ص: 10.

[29] الحجاج الجدلي: خصائصه الفنّية وتشكّلاته الأجناسيّة في نماذج من التراث اليوناني والعربي، ص:229

[30] في بلاغة الخطاب الأدبي، ص: 10.

[31] في بلاغة الخطاب الأدبي، ص: 10.

[32] في بلاغة الخطاب الأدبي، ص: 12. ويؤكّد الباحث تطبيقه لبلاغة الحجاج في خاتمة كتابه قائلا:" وقد أقمنها البحث على منطلق مبدئي قوامه النّظر في أساليب التعبير موصولة بالمقاصد التي انتدبت لها، وتجاوز الغايات الجماليّة إلى المقاصد التأثيرية والإقناعية". في بلاغة الخطاب الأدبي، ص: 157.

[33] دار الانتشار العربي–بيروت، ودار محمد علي الحامي– تونس، وكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقيروان، ط1، 2011م.

[34] الوصايا الأدبية، ص: 23.

[35] فن المناظرة في الأدب العربي، ص: 347.

[36] نفسه، ص: 15.

[37] يقول:" أملنا في ذلك أن نتجاوز صراعًا بدا لنا وهميا بين شعرية الكلام أو إنشائية من جهة وسياسة الخطابة أو البلاغة من جهة أخرى". نفسه، ص: 495.

[38] نفسه، ص، 346.

[39] نفسه، ص: 107.

[40] نفسه، ص: 111.

[41] نفسه، ص: 114.

[42] نفسه، ص: 113.

[43] نفسه، ص: 115.

[44] فن المناظرة في الأدب العربي، ص: 116.

[45] يقول في هذا الصدد:" ما هو ديني أو كلامي مختلط بما هو سياسي في كثير من الأحيان. وبعض النصوص لا تخضع لهذا التصنيف وتأباه، لأنها تجمع بين أكثر من موضوع فتتناول الدين والسياسة أو اللغة والفلسفة كما في مناظرة السيرافي ومتى في المنطق والنحو". نفسه، ص: 45.

[46] يقول:" أسلوب الحوار وحده ليس معيارا كافيا لتصنيف المناظرات لأنه يحضر في أجناس أخرى متنوعة ومتباعدة أحيانا". نفسه، ص: 87.

[47] نفسه، ص: 88.

[48] نفسه، ص: 172.

[49] نفسه، ص: 191.

[50] فن المناظرة في الأدب العربي، ص: 265.

[51] نفسه، ص: 272.

[52] يصرّح الباحث بهذا في دراسته:"إن البحث يطمح من هذه الجهة إلى أن يكون لبنة أخرى تنضاف إلى عدد من البحوث العامة التي حاولت أن تدرس أدبية النثر عند العرب القدامى من خلال بعض فنونه، ومنها "الخبر في الأدب العربي" لمحمد القاضي، و"الرسائل الأدبية" لصالح بن رمضان، و"بلاغة الهزل" و"بلاغة الانتصار" لحمادي صمود، و"الوصية في الأدب العربي، دراسة أسلوبية حجاجية" لعبد الله البهلول وغيرها". نفسه، ص: 16

المصادر والمراجع:

1 المصادر والمراجع:

- **الباشا العيادي:**

– فن المناظرة في الأدب العربي: دراسة أسلوبية–تداولية، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط 1، 2014م.

- **عبد الله البهلول:**

– الحجاج الجدلي: خصائصه الفنّية وتشكّلاته الأجناسيّة في نماذج من التراث اليوناني والعربي، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2016م.

– في بلاغة الخطاب الأدبي: بحث في سياسة القول في نصوص من الأدب العربيّ القديم، التسفير الفني، تونس، ط1، 2007م.

– الوصايا الأدبية إلى القرن الرابع هجريا: مقاربة أسلوبية حجاجية، دار الانتشار العربي–بيروت، ودار محمد علي الحامي– تونس، وكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقيروان، ط1، 2011م.

- **محمد العمري:**

– أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة: دراسات وحوارات، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 2013م.

– البلاغة بين التخييل والتداول، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 2005م.

– في بلاغة الخطاب الإقناعي: مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية الخطابة في القرن الأول نموذجا، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط2، 2002م.

- **محمد مشبال:**

– بلاغة النص التراثي: مقاربات بلاغية حجاجية (إشراف)، دار العين للنشر، مصر، ط 1، 2013م.

– خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ: مقاربة بلاغية حجاجية، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2015م.

– في بلاغة الحجاج: نحو مقاربة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2017م.

– محمد مشبال، عن بدايات الخطاب البلاغي العربي الحديث: نحو بلاغة موسَّعة، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2020م.

2 -الدّراسات والدّوريات:

- **طه عبد الرحمان** ، تكامل المعارف: اللسانيات والمنطق والفلسفة، حوار مع نشر بمجلة قضايا إسلامية معاصرة، بيروت، العدد 19، 2002م.

- **محمد مشبال:**

- بلاغة النص القرآني، مجلة الهدى، مجلة المجلس العلمي المحلي لعمالة طنجة-أصيلة، العدد 2، دجنبر 2010م.
- بلاغة النص النثري العربي القديم: المبادئ والمكونات، مجلة أنساق، كلية الآداب والعلوم بجامعة قطر، المجلد 1، سنة 2017م
- السرد الحجاجي في رسائل الجاحظ، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، المغرب، العدد 2، ربيع 2013م
- نحو تحليل بلاغي حجاجي للخطاب: مقاربة لصورة الخطيب في المراسلات السياسية بين معاوية والحسن بن علي نموذجا، مجلة البلاغة والنقد الأدبي، المغرب، العدد 11، ربيع-صيف 2018م.
- نصّ الحوار الذي أجرته مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، المغرب، العدد 5، خريف 2014م.